# التداولية أصولها ومفاهيمها

## Deliberative origins and concepts

تاريخ الاستلام : 2022/06/21 ؛ تاريخ القبول : 2022/12/05

**ملخص**

إن التداولية هي ذلك العلم الذي يدرس الاستعمال الفعلي للغة، أي أنّها تدرس اللغة في إطارها التواصلي، فتهتم بالمخاطِب والمخاطَب وعنصريْ المقصدية والإفادة وقد انبثقت التداولية من رحم الفلسفة التّحليلية، وبالتحديد من فلسفة اللّغة العادية على يد (أوستين) و(سيرل)، وهي تقوم على أساس الاستلزام الحواري وأفعال الكلام وهي نظريّة تدرس الأفعال الكلاميّة وتصنّفها حسب معياريْ الصّدق والكذب أو انعدامهما، ورغم أنّ التداولية ذات منشأ غربي إلا أننا نجد علماءنا العرب قد اهتموا بها، وتظهر إرهاصاتها في تراثنا العربي من خلال اهتمامهم بظاهرتي الخبر والإنشاء كما درسوا الأفعال الكلاميّة واعتمدوا في دراستهم للخطاب على نفس الأدوات التي استعملها التداوليون كاهتمامهم بالمخاطِب والمخاطَب وسياق الحال، غرض المتكلم إفادة السامع، العلاقة بين المخاطِب والمخاطَب والأفعال اللغوية وغيرها من الأدوات التي تساعد في فهم الخطاب وإنجاح العملية التواصلية.

**الكلمات المفتاحية:** التداولية، اللغة، الأفعال الكلامية، التواصل، الاستلزام الحواري.

* فتيحة عبديش

جامعة تيسمسيلت "أحمد بن يحي الونشريسي"، الجزائر.

**Abstract**

The deliberation is the science that studies the actual use of language, that is, it studies the language within its communicative framework. It is the subject of communication and communication and the elements of objectivity and benefit. The deliberation emerged from the philosophy of analytic analysis, specifically the philosophy of ordinary language by Austin and Searle. And the acts of speech, a theory that studies verbal acts and classifies them according to the standards of truth and lies or lack thereof, and although the deliberation of Western origin, but we find our Arab scientists have been interested and show their implications in our Arab heritage, through their interest in the phenomena of news and construction, Verbal acts and adopted in their study of the speech on the same tools used by Altdaulion Kahtmamanm Balmkhatab and the addressee and the context of the case, the purpose of the speaker, benefit hearer, the relationship between the listener and the offeree linguistic acts and other tools that help in understanding the speech and the success of the communicative process.

**Keywords:** Deliberative ; the language ; Verbal verbs ; Communication ; Dialogic imperative.

**Résumé**

La pragmatique est la science qui étudie l'usage réel du langage, c'est-à-dire qu'elle étudie le langage dans son cadre communicatif et s'intéresse au locuteur, à l'auditeur, à l'intentionnalité et au bénéfice. Elle étudie les verbes verbaux et les catégorise selon à la fois la véracité et la fausseté ou leur absence. Bien que la pragmatique soit occidentale, on constate que les érudits arabes s'y sont intéressés. Ses débuts apparaissent dans notre héritage arabe dans leur intérêt pour les phénomènes d'information et de demande, alors qu'ils étudiaient les verbes verbaux et s'appuyaient, dans leur étude du discours, sur les mêmes outils utilisés par les pragmatiques, tels que leur intérêt pour le locuteur, l'auditeur , et le contexte, et le but de l'orateur est de profiter à l'auditeur.Et la relation entre l'intégré et l'auditeur, les verbes linguistiques et d'autres outils qui aident à comprendre le discours et le succès du processus de communication.

**Mots clés:** pragmatique, langage, verbes verbaux, communication, imputation conversationnelle.

* Corresponding author, e-mail: hananabdiche@gmail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2022.

**I - مقدمة**

تعدّ اللّغة الرّابط الأكثر أهمّية بين أفراد المجتمع الواحد، والذي لا يمكن الاستغناء عنه في تحقيق التّواصل بينهم، وهي الأداة الفاعلة في تحقيق أغراض كثيرة أخرى، كالتّعبير عن الأفكار والأحاسيس والتأثير في الغير بالإقناع أو الترغيب أو الترهيب أو الإخبار بحدث ما، وكل هذه الأغراض هي ذات وظيفة واحدة ألا وهي التواصل، وليست اللغة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق التواصل بل هناك وسائل أخرى كالإشارة والصورة والرموز، إلّا أنّها لا تحقّق التواصل المطلوب والقويّ الّذي تحقّقه اللّغة.

وقد تناولت مختلف الدراسات اللّغة منذ القدم إلى يومنا هذا ودرستها من جوانب مختلفة، سواء من ناحية الدّوال أو من ناحية المدلولات وهما معا وما يؤديانه داخل السّياق من دلالات مختلفة، كما أنها كانت تدرس على أنها مجرد نظام مستقلّ عن الإنسان وثقافته وتاريخه، وهي لا تتجاوز مستوى الجملة، أما الآن فأصبحت تدرس على أنّها فعل لغوي اجتماعي، وهي تدرس على مستوى النّص الّذي يتوجّه إلى الآخرين، فتكون خطابا تداوليا، لتوفّره على السّياق والمقام والمقاصد، وهذا ما تقوم بدراسته التداولية التي تتجاوز محدّدات الدّلالة إلى دراسة إمكانية الكشف عن قصدية المتكلّم من خلال إحالة المنطوق إلى السياق لمعرفة مدى تطابقه مع ظروف السياق للكشف عن القوانين التي تتحكّم في تحديد دلالته، ومن هنا نجد أنفسنا أمام مجموعة من الأسئلة يجب الوقوف عليها وهي:

ما هي التداولية؟ وما هي أسسها التي قامت عليها؟ وما ملامحها في تراثنا اللغوي العربي القديم؟، وهل اهتم علماء اللغة العرب بالأفعال الكلامية؟.

إن الحديث عن اللسانيات التداولية ومضامينها وأدواتها يستلزم بداهةً الوقوف عند قضية مهمة وهي التفريق بين البنية والاستعمال؛ أي للّغة ميدان استعمالي اجتماعي وآخر صوري، وقد قسمها العلماء إلى عدّة مستويات تحليلية للكشف عن محتوياتها ومعرفة مضمونها وأبعادها الدلالية ومقاصدها في التواصل الاجتماعي.

تهدف هذه المقالة إلى الوقوف على مصادر التداولية وشرحها للقراء حتى يتبين من خلال اهتماماتها نقاط اختلافها من حيث الدراسة عن اللسانيات باعتبارها فرع منها، ولكي نبين أن للسانيات التداولية مصادر كذلك في تراثنا العربي كنظرية الخبر والإنشاء، واهتمام اللغويين العرب القدامى بطرفي الخطاب والخطاب وغيرها من عناصر العملية التواصلية.

**مفهوم التداولية: تعدّ** التداولية من العلوم اللسانية الحديثة التي عرفت جملة من التعريفات منها:

**لغة:**

وهي«من الفعل: دول: الدولة والدولة: العقبة في المال والحرب سواء[1]، وقيل بالضم في الآخرة وبالفتح في الدنيا.

وقال الزجاج: الدولة اسم الشّيء الّذي يتداول والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال.ودالت الأيّام أي دارت، والله يداولها بين النّاس، دواليك: من تداولوا الأمر بينهم تداولا بعد تداول. والدويل: النبت اليابس، ونجد ذلك في قول الراعي:

شهري ربيع لا تذوق ربيعهم إلا حموضا وخمة ودويلا»[2]

**اصطلاحا:**

هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي الدّراسة التي تعنى باستعمال اللّغة، وتهتم بقضيّة التّلاؤم بين التعابير الرّمزية والسياقات المرجعية والحديثة والبشرية.

وقد رصد للتداولية تعريف آخر وهو «أنّها تمثّل دراسة تهتمّ باللّغة في

الخطاب وتنظر في الوسميّات الخاصّة به قصد تأكيد طابعه الخطابي»[3]، فهي تركّز على اللّغة في إطارها التواصلي وتدرس جميع نواحيها الخاصّة والعامّة في إطار نظام لغوي متكامل.

والتداولية هي: «دراسة جوانب السياق التي تشفّر شكليّا في تراكيب اللّغة، وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل، لأنّها تبحث عن كيفيّة اكتشاف المتلقّي مقاصد المتكلّم، فقول القائل مثلا: أهذه سيّارتك؟ فالسّؤال من دون شكّ موجّه للمخاطب»[4]، ولكن أهو سؤال حقيقي، أم يحمل لوما؟، «أن سيارة المخاطب قد سدّت الطّريق على السّيارات الأخرى وهذا هو المعنى الذي يقصده المتكلّم»[5]وهذا يعني أن العبارة أو السؤال في التداولية لا يحمل المعنى المباشر في الغالب، بل لديها معنى ظاهري ومعنى خفي يفهم من السياق.

ومن هنا رأى بعض الباحثين أنّ للمعنى ثلاث مستويات،«المعنى اللغوي المأخوذ من دلالة الكلمات والضمائر والجمل ومعنى الكلام، وهو المعنى السياقي، ثم المعنى الكامن أو الموجود بالقوّة وهو المعنى الذي يقصده المتكلم، ولهذا كان أوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو: «دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل لأنه يشير إلى أنّ المعنى شيئا ليس متأصّلا في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا المتلقي وحده، فصياغة المعنى في تداول لساني بين طرفي الكلام وذلك في سياق معيّن وصولا إلى المعنى المنطوي وراء الكلمات»[6]ونستنتج من هذا القول أن المعنى مقسّم حسب ثلاث مراتب ألا وهي دلالة الصّيغة اللّغوية الظّاهرة، ثمّ دلالة علاقتها بالسياق، ثمّ المعنى الحقيقي المقصود بهذه الصّياغة من طرف المتكلم.

**التداولية أصول ومنطلقات:**

حسب ما ورد سابقا فإنّ: «التداولية هي الفرع الثالث من فروع السيميائية، وعن أصولها النظرية فإن الفلسفة التحليلية تعدّ المنهل الأول الذي انبثقت منه أولى البوادر التداولية والمتمثلة في الأفعال الكلامية، وهذه الفلسفة تفرّعت عنها فلسفات أخرى ساهمت كلها في بلورة هذه المقاربة بصورة عامة»[7].

**1-الفلسفة التحليلية:**

لقد كان الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه" (1848-1925م)، رائد الاتّجاه التّحليلي من خلال التحليلات التي أجراها على العبارات اللغوية، وكان تمييزه الحاسم بين مقولتين لغويّتين تباينت مفهوميا ووظيفيا وهما، اسم العلم والاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية وذلك في كتابه "أسس علم الحساب"، فاسم العلم في نظرية "فريجه" هو الّذي يشير إلى فرد معيّن، أما المحمول فإنه يقوم بوظيفة التصوّر، وقد اعتبر هذا التمييز انقلابا جديدا، وذلك بما يتجلى في رؤيته الدلالية المميزة بين اسم العلم والاسم المحمول، وبين المعنى والمرجع، كما ربط بين مفهومين تداوليّين هامّين هما الإحالة والاقتضاء»[8]، فبهذا يكون قد ميّز بين الاسم وبين الوظيفة التي يؤديها حسب ما يحيل إليه، وقد تفرعت الفلسفة التحليلية إلى ثلاث اتجاهات:

**أ-الوضعية المنطقية** بزعامة "رودولف كارناب"

**ب-الظاهراتية اللغوية** بزعامة "إدموند هوسرل"

**ج-فلسفة اللغة العادية** بزعامة "لودفيغ فنجشتاين"

## II- أسس التداولية:

قامت التداولية على بعض الأسس التي تربط العملية التواصلية بين المخاطب والمخاطب ومن بينها ما يلي:

**أ-الاستلزام الحواري**:

من أهم أسس التداولية وهو « المعنى المستفاد من السياق ويعد من أهم المبادئ البراجماتية اللسانية (التداولية)، ويعني أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام

(مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية، وسلامة القول وقبوله من قائله وملاءمته مستوى الحوار، فبعض جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير معنى تركيبها اللفظي، ويختلف مفهوم الاستلزام الحواري عن مفهوم الاقتضاء، فالاستلزام مفهوم لساني براجماتي يتغير بتغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية والاقتضاء يمتاز بكونه لا يتغير بتغير ظروف استعمال العبارة، فهو ملازم لها في جميع الحالات والأحوال»[9]؛ أي أنّ العملية الحوارية تضبط بشروط عامة داخلية خاصة باللغة في حدّ ذاتها وخارجية تقتضي مقاما معينا يناسب العبارة التي وظفها المخاطب.

ومبدأ الاستلزام الحواري أصيل في التراث العربي، قال الرازي:«إنّ اللّفظ إذا وضع للمسمى انتقل الذهن من المسمى إلى لازمه»[10]، وهذا الانتقال يعني عدم وجود الافتراض في معنى الجملة، ولكنه اتصل بها برابط عقلي أو طبيعي أو اجتماعي، وهو عند "عبد القاهر الجرجاني" معنى المعنى، قال:« إن المعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ، أما معنى المعنى فهو أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»[11].

قسّم "الجرجاني" من خلال هذا التعريف المعنى إلى ثلاث: المعنى الظاهر، المعنى الذي يفهم مباشرة، ثم المعنى الذي يهتدي إليه السامع وهو المعنى الخفي.

فالاستلزام الحواري هو حلقة الوصل بين المعنى الحرفي الصريح والمعنى المتضمن في شكل الجملة، ويعد من أهم جوانب البحث التداولي الذي يعول على السياق في معرفة المعنى وقد يتداخل مفهوم الاستلزام مع التضمن في بعض المواضع ومن التضمن قوله تعالى:«...ثم تولى إلى الظل...»[12] ، فيه دلالة على أنه سقى لهما في شمس وحر، واستظلاله يتضمن اتقائه الحر، والتضمن قد يعني التعريض بشيء مثل قوله تعالى:«...يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين»[13] يتضمن«شيئا كنّت عنه المرأة في استئجاره ووصفها إياه وليس فيه لزوم»[14]، فهي أخفت أمرا في نفسها حال وصفها للرجل.

وقد قسم "بول غرايس" الاستلزام الحواري إلى:

**أ-استلزام عرفي:**

ويتمثل في المعاني الاصطلاحية الصريحة التي تلازم الجملة في مقام معين مثل: دلالة الاقتضاء، ويتمثل في معاني الألفاظ التي اصطلح عليها أهل اللغة ويسميها الغربيون (المعنى الحرفي)، فلا تتغير بتغير التركيب والسياق، وهناك معان غير مباشرة وتسمى (معنى المعنى)، ومنها التراكيب الاصطلاحية المعبرة عن معنى مخصوص، وبعضها يجوز فيه كلا المعنيين المباشر والمجازي مثل: (طويل اليد) بمعنى الكرم، وقد تكون وصفا حقيقيا لليد. ومنه في الانجليزية : المعنى المباشر (الحرفي) اكسر الثلج، والمعنى المجازي: مهد الأمور أو مهد الطريق لأمر ما»[15].

أي أنّ بعض التراكيب قد تحتمل وجهين فتجوز للمعنى الحرفي وتجوز للمعنى المجازي حسب المثال السابق، وبعضها لا يجوز فيها المعنى الحرفي، فلا تحمل على معناها المباشر مثل قوله تعالى:«...ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل من سم الخياط...»[16]، يريد الله سبحانه وتعالى التعبير عن استحالة دخولهم الجنة.

**ب-استلزام حواري:**

وهو متغير بتغير السياقات التي يرد فيها، ويعد الحوار الحقل الفعال والمباشر للتفاعل اللغوي، ويكشف عن البعد الاستعمالي في تحقيق قصد المتحاورين، ووضع "غرايس" لوصف ظاهرة الاستلزام الحواري مبدأ حواري آخر سماه (مبدأ التعاون): وهو مجموع القواعد التي يخضع لها المتحاورون، لتحقيق التواصل بينهم، ويرى "غرايس" أن الحوار أعلى نمط تفاعلي، وانطلق من بناء الحوار في وضع مبدأ التعاون الذي يقتضي أن يتعاون المتكلمون لتسهيل عملية التخاطب لتجنب فهم غير المراد من قصد كلام المتكلم[17]، فالحوار هو المضمار الذي يتحقق فيه التواصل اللغوي مهما اختلفت السياقات.

## III- أفعال الكلام :

نظرية تدرس الأفعال التي تعبر عن فعل ولا يحكم عليها بصدق أو كذب وقد لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، وليس من الضروري أن تعبر عن حقيقة واقعية، فهي تهدف إلى إرساء قواعد نظرية الأفعال الكلامية من الأنماط المجردة أو الأصناف التي تمثل الأفعال المحسوسة والشخصية التي تنجز أثناء الكلام، فالمتكلم عندما يتحدث يخبر عن شيء أو يصرح بشيء أو يأمر أو ينهي أو يلتمس، أو يعد أو يشكر...»[18] ؛ أي أنّها أفعال غير محكوم عليها لا بصدق ولا بكذب ولا تصف حقيقة معينة، فهي تمثل الأفعال المحسوسة لأن المتكلم بمجرد أن ينطق يكون قد عبر عن شيء داخلي يريده.

ويرى "أوستين" أن «الأقوال اللغوية تعكس نمطا ونشاطا اجتماعيا أكثر مما تعكس أقوالا يتقاسمها مفهوما الصدق والكذب الدارجان بين الفلاسفة الذين درسوا المعنى في إطار عرّف بالمعنى القضوي للجملة التقريرية الخبرية، وهي الجملة التي يمكننا الحكم عليها قضويا بالصدق أو الكذب، وقدّم "أوستين" أمثلة يوضّح فيها أنّه ليست كل الجمل جملا خبرية، وبيّن كيف أنّ اللغة يمكن أن تستخدم لتنجز وعدا أو تصريحا أو تعميدا أو رهانا أو مقايضة، إلى غير ذلك من الأفعال التي يقترن القول فيها بإنجاز الفعل»[19].

أي أنّ هذه الأقوال تتضمن النشاطات الاجتماعية المختلفة وما تحمله الجملة الخبرية من قضايا، يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب من خلال مضمون القضية التي تعالجها.

ويرى أيضا في نظريته أنّ كثيرا من الجمل والعبارات التي يشملها الحديث ليست خبرية، ولا تخضع لمفهوم الصدق والكذب، فاللغة تشتمل على أسئلة وعبارات تعجب وأوامر وتعابير خاصة بالأمنيات والتطلعات وعبارات الترهيب والترغيب والتشجيع مثل: «معذرة، مرحى، أحسنت، مرحبا...وتوصل إلى نوعين من الأفعال وهما:

**أ-الأقوال التقريرية:** وهي أفعال تصف وقائع العالم، وتكون صادقة أو كاذبة.

**ب-الأقوال الأدائية:** التي تنجز في سياقات خاصة للدلالة على معاني الأفعال التي لا توصف بصدق أو كذب، مثل التسمية، والوصية والاعتذار والرهان والنصح والوعد»[20].

استطاع "أوستين" تحديد بعض المفاهيم الأساسية للأفعال الكلامية التي تعد جزءا لا يتجزأ من التداولية، مثل: «الفعل الإنجازي الذي أصبح مفهوما محوريا في هذه النظرية، وعدّت في صميم الأعمال التداولية، وقد توصل إلى أنّ للخطاب معانٍ صريحة يحملها ومعان ضمنية يستلزمها، وذلك من خلال تقسيمه دلالة الخطاب إلى صريح وضمني ومستلزم، ويضم المعنى المنطوق عند "غرايس" ما تدل عليه الجملة معجميا ونحويا، ويضم منطقيا دلالة الافتراض ودلالة التضمن»[21]، لأنّ الخطاب يحمل المعنى الحرفي الصريح والمعنى المستلزم، وعند "غرايس" نفس النظرة؛ أي أنّ التركيب والمعجم يؤديان الدلالة المفترضة والدلالة المتضمنة.

## IV- الإشاريات:

وتعتبر الإشاريات: «الروابط الداخلية التي تربط بين وحدات النص وتحقق تماسكه وانسجامه، والروابط التي تربطه بعالمه الخارجي، وهي الإحالة التي تتحدد من خلال العنصر اللغوي والسياق الوجودي أو الخارجي، ومن ثم تمثل دراسة البعد الإشاري للعلامة اللغوية جزء من مقاصد الخطاب، الإشارة في: أنا، أنت، هنا، تفهم في سياقها الخارجي ولا تتحقق إلّا من خلال الاستعمال»[22]

وهذه الروابط تستحضر المشار إليه إلى طرفي الخطاب، ووظيفتها المقصدية تتصل بالسياق المخصوص بها لتوضيح غاية المتكلم، وهي من العناصر التي يفسرها السياق اللفظي والسياق الخارجي، وهي تفيد التأكيد والاختصار في اللفظ لإلغائها ذكر المشار إليه واستحضاره في اللفظ[23]، وهي ترتبط بالسياق الذي قيلت فيه وهي مؤكدات.

**أولا: الإشارات الشخصية:**

وتتمثل في «الضمائر المنفصلة والمتصلة التي تشير إلى الاستغناء عنه، وذلك بقرينة وبإضافة قول من قبل المتكلم يمنع ما يستلزم من كلامه ويحول دونه، كقولك: لم أجد كل الطعام، قد تستلزم أنك وجدت بعضه، فتلغي الاستلزام بقولك: لم أجد شيئا من الطعام، أو لم أجد الطعام كله، والاستلزام متصل بالمعنى الدلالي للتركيب، فلا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي، ولا علاقة له بالصيغة اللغوية الشكلية للعبارة، ولا يتغير باستبدال مفردات وعبارات بأخرى ترادفها...»[24]؛ يعني أن الاستلزام متعلق بدلالة العبارة وليس له ارتباط بالصيغة الخطية إذ إنه لا يتغير بتغيير مفردات بأخرى مرادفة لها، بل متغير بتغير السياقات التي يرد فيها.

ويمكن تقدير الاستلزام؛ أي أنّ المتكلم بإمكانه أن يقوم بمجموعة من الاستنتاجات أو العمليات الذهنية بناء على ما سمعه من كلام وصولا إلى الاستلزام المطلوب بعيدا عن المعنى التركيبي، مثل (فلانة أفعى)، لا يراد حقيقة المعنى بل يراد الغدر أوالدهاء، ومثل المرأة الحديدية، ويراد بها الحزم والقوة[25]. وهذه المبادئ تلائم شروط المحادثة.

**ثانيا: الإشارات المكانية:**

وهي «التي تحيل إلى المواضع التي تفاعل معها الخطاب ويمثل المكان بعدا أساسيا يحس به الإنسان، وإحساسه بالمكان أسبق من إحساسه بالزمان غير أنّ إدراكه للمكان يقترن بأبعاد حسّية مادية، ويقترن إحساسه بالزمان بأبعاد ذهنية شعورية، والإحالة الظرفية يعيّن دلالتها الواقع، ومن الإشارات المكانية: هذا، ذلك، والظروف: هنا، هنالك، ... ويدخل فيها أسماء الأماكن، وهي تدلّ على أشياء في العالم الخارجي، وهي بمنزلة التعيين والتوثيق»[26]، ومن هذا كله نفهم أن المكان يلعب دورا فعالا في إنجاح الخطاب، لأنها مادّية حسّية تؤدّي إلى تأكيد الخطاب وإعطائه صيغة حقيقية واقعية.

**ثالثا: الإشارات الزمانية:**

وهي التي:«تحيل إلى زمن أحداث الخطاب والزمن نوعان: زمن نحوي، وزمن كوني خارجي، فالنحوي زمن الجملة والكوني الظروف التي تحيل إلى العالم الخارجي، مثل: الظروف، أسماء الوقت والزمن التي يكون تقديرها في العالم الخارجي»[27]، وهذه الإشارات تحدد الزمن الذي وقع فيه الحوار وهو زمن الجملة والزمن الخارجي المتوقع.

## V - الإرهاصات التداولية عند العلماء العرب:

إن الحديث عن موضوع اللسانيات التداولية في التراث العربي ليس تأصيلا للمفاهيم المعروضة في اللسانيات الحديثة، بل لبيان الامتدادات المعرفية للمدونة العربية، وتقديم جانب من الأفكار الرائدة التي عرضها علماء العربية قديما.

إنّ من أهم الظواهر التي اعتمدها العلماء العرب في الإطار التداولي«ظاهرتي الخبر والإنشاء، معتمدين في ذلك مقولات ومبادئ سياق الحال ووضع المتكلم وموقعه من العملية التواصلية وغرضه من الخطاب، وطبقوها على

نصوص القرآن والسنة، بغرض دراسة المعاني الوظيفية لتلك النصوص، وهي المعاني التي تطرأ على القول وتتغير من مقام إلى آخر، وعلاقة تلك المعاني بقائلها، وعلاقة ذلك كله بظروف القول وملابسات الخطاب، ودرسوا أيضا (ألفاظ العقود والمعاهدات) وما تقتضيه من تشريعات اجتماعية سياسية، والقوى الإنجازية لتلك المواضعات القولية وشروطها وأحكامها، وكانت نتيجة ذلك أنهم استنبطوا (أفعالا كلامية جديدة) ضمن بحثهم لمعاني الخبر والإنشاء، كالإذن، الوجوب، التحريم، الإباحة، وكاعتمادهم مقولة القصد أو الغرض»[28]؛ أي أنهم ربطوا التداولية بالعملية التواصلية وما يحيط بها من متغيرات مختلفة وطبقوها على النص الشرعي للوصول إلى معانيه الحقيقية معتمدين في بحثهم على ظاهرتي الخبر والإنشاء وما ترمي إليه من أغراض.

وقد اهتم علماء النحو العرب بالبعد التداولي حيث كانوا غير بعيدين عن هذا التصور التداولي في تطبيقهم لظواهر الخبر والإنشاء في بحوثهم، كما ركزوا على دراسة الأفعال الكلامية المنبثقة عن تلك المبادئ التداولية ويتجلى ذلك فيما يلي:

- اهتمام العلماء العرب منذ عصر سيبويه، ولاسيما العالمين الكبيرين "عبد القاهر الجرجاني" و"الرضي الاستربادي" بالارتباط التداولي بين الأسلوب خبرا كان أم إنشاء وبين معناه البلاغي ووظيفته التواصلية مع حرصهم القوي والمتكرر على الاهتمام بـ(المعاني) و(الأغراض الإبلاغية) المتوخاة من الخطاب وإصرارهما أن البنى التركيبية تابعة للوظيفة التواصلية وليس العكس.

- سلكوا منهجا تداوليا في تحليل الظواهر التركيبية، كظواهر التقديم والتأخير، والتعيين، والإثبات، والنفي، والتي لا تعدو أن تكون أغراضا وغايات تواصلية يسعى المتكلم إلى تحقيقها، وهذه الأغراض هي التي تسمى عند التداوليين (أفعالا كلامية) طالما أنّه يراد بها تضمين الخطاب فائدة تواصلية معيّنة، أو تنبيه المخاطب، أو تأكيد الرسالة الإبلاغية له، أو ندائه، أو إغرائه، أو تحذيره، أو توبيخه، وهذه الأفعال الكلامية تؤدّى إمّا عن طريق لفظ مفرد، كمعاني الأدوات، أو عن طريق تركيب كامل كبعض معاني التأكيد والتخصيص والتعيين[29].

- يحظى طرفا الخطاب (المخاطِب والمخاطَب) باهتمام بالغ في تحليلاتهم، ويتمثل اهتمامهم بالمخاطِب في العناية بـ(قصده) من الكلام، أما اهتمامهم بالمخاطَب فيتمثل في الاحتفاء بـ(الإفادة)، وهي الفائدة التي يجنيها السامع من الخطاب.

ومما يؤكد كذلك اهتمام النحاة بالبعد التداولي للظاهرة اللغوية إشارة بعضهم إلى المعاني والأغراض العميقة الكامنة وراء الألفاظ والمباني، ومن ذلك إشارة سيبويه إلى أن«القسم لا يعدو أن يكون تأكيدا للكلام، وأنّ للاستفهام عدّة وظائف تواصلية منها (التنبيه)، ومن ذلك إشارة كلّ من "الخليل" و"الاستربادي" إلى أنّ (القسم) لا يراد لذاته وإنّما يراد به إمّا (الإلحاح في الطلب) وإمّا(تأكيد الخبر)»[30] وهذا بحسبهم أن بعض المعاني تخرج عن معناها الأصلي إلى معان فرعية أخرى.

وخلاصة هذا فإن التداولية بمقولاتها ومفاهيمها الأساسية، كسياق الحال غرض المتكلم، إفادة السامع، ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب، ومفهوم الأفعال الكلامية، تعد أداة من أدوات قراءة التراث العربي في شتى مناحيه ومفتاحا من مفاتيح فهمه.

## VI -الخاتمة:

عدت اللسانيات التداولية من أهم النظريات الحديثة التي اهتمت باللغة في إطارها التداولي ومن أهم ما اهتمت به مايلي:

- أولى فلاسفة اللغة العادية اهتماما كبيرا بالجانب الاستعمالي للغة، وعالجوا مواضيع تعد في الأصل من اهتمام التداولية.
- نشأت التداولية من رحم الفلسفة التحليلية.
- تحتل الافتراضات المسبقة أهمية قصوى في عملية التواصل، فهي تتيح لنا إمكانية توضيح بعض علاقات التضمين بين جمل النص.
- إن العملية التحاورية لا تقوم من فراغ بل تستند إلى خلفيات تعود إلى طبيعة المتحاورين ومجموعة من المبادئ والمعارف المشتركة.
- تعتبر الأفعال الكلامية لب التداولية فهي الوحدة الأساسية في الخطاب، والتداولية لا تهتم كثيرا بمعنى الجملة، إنها تبحث في " ماذا يعني المتكلم بتلك الجملة".
- إن نظرية الأفعال الكلامية امتداد لنظرية الخبر والإنشاء في التراث العربي، مما يؤكد
- اهتمام تراثنا العربي بلاغة ونحوا بالبعد التداولي للغة والجانب الأدائي لها (الكلام).

**الإحالات:**

1 - آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر.سيف االدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، 2003،ص: 27 .

2- المرجع نفسه، ص: 28 .

3- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 30 .

4- أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.1، مج.5، ص: 328-327

5- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر. صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2007، ط.1، ص: 18-19.

6- بلقاسم دفة، استراتيجية الخطاب الحجاجي، مجلة الخبر بجامعة بسكرة، الجزائر، ص: 04.

7- المرجع نفسه، ص: 04.

8- المرجع نفسه، ص: 05.

9- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 20.

10- ينظر: المرجع نفسه، ص: 21.

11- محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، القاهرة، 2002، ص: 32.

12- القصص: 24.

13- القصص: 26.

14- محمد علي، مختصر تفسير بن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط.7، 1981، ص: 10-11.

15- ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية، ص. 89.

16- ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية، ص: 90.

17- ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية، ص: 91.

18- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب – دراسة الأفعال الكلامية – ص: 36.

19- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 97 .

20- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 36.

21- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 150.
22- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 167.
23- ينظر: سعيد بحيري، دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، 2005، ص: 94 .
24- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية، ص: 93.
25- ينظر: أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص: 93.
26- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية، ص: 85.
27- المرجع نفسه، ص: 85.
28- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 07.
29- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 10.
30- المرجع نفسه، ص: 47.

**المراجع**

**القرآن الكريم**

1- أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.1، مج.5.
2- الجيلالي دلاش، مدخل إلى السيميائيات التداولية، تر. محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط.1، 1994.
3- محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، القاهرة، 2002.
4- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية
5- محمد علي، مختصر تفسير بن كثير، القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط.7، 1981.
6- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب – دراسة الأفعال الكلامية –
7- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تص. محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، 1981.
8- أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.
9- سعيد بحيري، دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، 2005.
10- أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، جامعة منتوري، قسنطينة،2008-2009.
11- بلقاسم دفة، استراتيجية الخطاب الحجاجي، مجلة المخبر بجامعة بسكرة، الجزائر.
12- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر. سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، 2003.
13- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر. صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط.1، 2007.